مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 32 - 43

تاريخ الإرسال: 2024/03/05 تاريخ القبول: 2024/04/10
تاريخ النشر: 2024/05/16

التأثيرات الفنية المعمارية لمعالم تلمسان من خلال بعض النماذج.

The artistic and architectural influences of Tlemcen land marcs through somme models

رزقي نبيلة[1]
جامعة تلمسان (الجزائر)،
nabila.rezki@univ-tlemcen.dz

الملخص:

تعتبر تلمسان المدينة الأزلية التي تعاقبت على ارضها حضارات عديدة اد شهدت استقرار الانسان القديم بها كما اجتذبت انظار الرومان اليها واستقر بها كل من الادارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين الدين حاصروا المدينة لاكتر من سبع سنوات الا ان عاصمة الزيانيين استطاعت ان تتربع على عرش المغرب الأوسط كونها عاصمة له، تتميز تلمسان بتراثها المعماري الديني الدي يتمثل في المساجد وبرغم من قدمها الا انها لاتزال ما تلة تحافظ على خصائصها المعمارية و الفنية باعتبارها ملامح حضارية لفترة معينة ،نحاول من خلال بحتنا هدا الإجابة على الإشكالية التالية: كيف تأثر الطابع العمراني لمدينة تلمسان بتاريخها العميق؟

الكلمات المفتاحية: تلمسان، معالم، طرز، تاريخ، فن.

Abstract:

[1]**المؤلف المرسل: رزقي نبيلة، الإيميل: nabila.rezki@univ-tlemcen.dz**

Tlemcen is considered the eternal city on whose land many civilizations took place .it witnessed the settlement of ancient man there it also attracted the attention of the romans to it. and the idrisids. almoravids. almoheds. and marinids all settled there. they besieged the city for more than seven years. but the capital of the zianid was able to occupy the throne of central magreb by being its capital tlemcen is distinguished by its religious architecture. which is respresented in mosques .and despite its antiquity.it still maintains its architectural and artistic characteristics as cultural features of a certain period .through our research. we are trying to answer the following problem. how was the urban character of the city of tlemcen affected by its deep history.

Keywords: Tlemcen. Landmarks. Styles. History. Art

1.مقدمة

تلمسان هي تلك المدينة الازلية التي طالما شكلت مستقرا للإنسان منذ اقدم فتراته ،فترة ما قبل التاريخ والمغاور التي سكنها الانسان البدائي في المنطقة، وجدت بها مجموعة متنوعة من الصناعات الحجرية التي اكتشفت بموقع اوزيدان وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بوهران، تعكس المستوى الحضاري للإنسان القديم المتمثل في مهارات صناعة وتشكيل ادواته الحجرية. وظلت تلمسان مصدر استقطاب على مر تاريخها الطويل اد جلبت انظار الرومان اليها بفضل موقعها الاستراتيجي فشيدوا على ارضها مدنا من ابرزها بوماريا التي تعكس الاستيطان الروماني با المنطقة وفي العهد الاسلامي اعتبرت قاعدة للمغرب ودار مملكة زناتة واطلق عليها في هده المرحلة اسم اغادير، اما تغرارت فهو اسم المدينة الحديثة التي سكنها المرابطون بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين لتسمى المدينة فيما بعد

باسمها الحالي تلمسان،كما شهدت تواجد الموحدين و المرينين من بعدهم الدين حاصروها لمدة طويلة صمد فيها الزيانيين ليتمكنوا في الأخير من استرجاع مدينتهم، نحاول من خلال هده المقالة الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف تأثر الطابع العمراني لمدينة تلمسان بتاريخها العميق.

بما ان مدينة تلمسان تستحوذ لوحدها على أعلى نسبة من المعالم الدينية في الجزائر هل عبرت عن طرز بنائيها وانتمائهم الفني.

–هل تولدت وحدة فنية ما بين الطرز المعمارية المختلفة

2.مكانة تلمسان الحضارية:

ساهمت تلمسان في نشر الحضارة الإسلامية لتشكل في مختلف العصور مصدر إشعاع حضاري انتعشت فيه الحركة الثقافية العلمية فتعددت المدارس و المساجد التي قصدها الطلاب من كل حَدْبٍ وصوْب كما درس بها كبار الفقهاء ،أما عن الجانب التجاري فقد نشطت الحركة التجارية وخصصت الأسواق إذ اِعتبرت القيصرية كسوق للسلع الوافدة من أوروبا كما اهتم الحكام بالبناء والتشييد مخلفين لنا معالم تَنِمُّ عن عظمة المدينة من أقدم معالمها الإسلامية مسجد أغادير(فترة الأدارسة) الذي لم يبق منه سوى منارته الشامخة ونظرا لموقعها الاستراتيجي كما ذكرنا سابقا تحرك المرابطون من المغرب الأقصى متجهين اليها سنة 472هـ–1079م محاولين ضمَّها إلى دولتهم، فتحقق لهم ذلك بعد أن اتجه يوسف إليها فاتحا في طريقه وجدة وبلاد يزناسن وموالاها عام 474هـ/1080م.

ثم وصل إلى عاصمة المغرب الأوسط وفرض عليها الحصار حتى استسلمت وقتل أميرها العباس بن بعلي وصارت ثغرا للمملكة بدل تازاواتخذب القرب منها لمدينة بمثابة حصن أمامي لحماية المرابطين[1]، اذ أمر أميرهم يوسف بن

تاشفين ببناء ثاقرارت قرب أقادير فأصبحت بذلك تلمسان تابعة لمراكش وتطور بها العمران والعلوم والتجارة[2].

أما الموحدون فقد دخلوا تلمسان على مرحلتين الأولى سنة –1144م–هـ 538 بقيادة عبد المومن بن علي، وأمر بتسوير المدينة فصيرها على حدً تعبير ابن خلدون "من أمنع مدن المغرب" ومن ناحية أخرى بناء مرفأ هنين دعم موقعها وزاد في أهميتها الاقتصادية إذْ عزز علاقاتها التجارية و الحضارية مع الأندلس[3]، كما كان لعبد المومن مؤسس الدولة الموحدية علاقة متينة بمدينة تلمسان، فاحوا زها شهدت مولده في قرية تاجرة[5] كما قرر عبد المؤمن تولية أصحاب الكفاءات العلمية على رأس المناطق وهو الأمر الذي مكن تلمسان من البروز بالساحة الثقافية والعلمية وذلك ببداية جدبها للعلماء والفقهاء من مدن المغرب والاندلس[6].

وقد استغلت قبيلة بني عبد الواد ضعف الدولة الموحدية فسيطرت على تلمسان، بذلك بدأت مرحلة جديدة و نقلة نوعية في تاريخ المدينة صبحت خلالها عاصمة لدولة إسلامية، إذ عرفت في عهد بني زيان اوج اِزدهارها و في مختلف الميادين السياسية والثقافية والاقتصادية ذ أصبحت مركزا تجاريا هاما تتوافد عليها لسلع والبضائع من كل قطر وكذلك أصبحت من أهم المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي إضافة إلى فاس ،تونس و غرناطة.

تجملت تلمسان بمجموعة من المعالم الدينية منها ما ندثر ومنها ما هو ماثل للعيان يواجه عوامل الزمن وقد اختلف مشيديها باختلاف فترات انجازها اهمها ما تمتله 3.المعالم المرابطية:

لقد كان الانتاج الديني والتقافي من بين اهم ما تميزت به الحضارة المرابطية وقد خلفوا تلاتة جوامع اتنان منهما بتلمسان احدهما في مركز المدينة

والتاني بمدينة ندرومة غير بعيدة عن تلمسان والجامع التالت بمدينة الجزائر العاصمة، سنتطرق الى جامع تلمسان كنموذج عن المعالم الدينية المرابطية بالمنطقة.

1.3الجامع الكبير:

لقد اتار تاريخ انشائه جدلا كبيرا بين الباحتين بسبب غياب الكتابات التأسيسية التي يستند عليها الباحتين لتحديد فترة بنائه ففي الوقت الدي ارجعه الباحتين الى عهد يوسف بن تاشفين انطلاقا من التاريخ الموجود بالمحراب والدي غفل عنه الموحدون الدبين خلفوا المرابطين كما يدلي جورج مارسي على ان المسجد يعود الى يوسف بن تاشفين فقد شيد الجامع مع بداية القرن6هـ-12م ليستكمل بنائه سنة 1135اد عرف تعديلات في العهد الموحدي لأنها لم تمس بتخطيطه كما اضيفت اليه المئذنة في العهد الزياني بالنسبة الى التخطيط يعتمد على البلاطات المتعامدة مع حائط القبلة والصحن مستطيل الشكل محاط باروقة على الجانبين محرابه مجوف شكله متعدد الاضلاع وتعلوه قبة صغيرة كما تسبق المحراب قبة مضلعة بها تخريمات زخرفية كبيرة الشبه بالقبة المضلعة بمسجد قرطبة.

4.المعالم الزيانية:

اهتم ملوك بني زيان بالبناء والتشييد فعملوا على اعطاء الاولوية لعرفاء البناء اد سارعوا الى جلبهم من اقطار متفرقة ليستفيدوا من خبراتهم ومهاراتهم ومن اهم منجزاتهم التي لا تزال ماثلة الى يومنا هدا من أهمها نجد:

1.4مسجد ابي الحسن التنسي:

غير بعيد من الجامع الكبير، امر ببنائه سعيد عتمان عام 96هـ-1296م وقد اسس من طرف السلطان ابي سعيد عتمان الابن الاكبر ليغمراسن سنة696هـ-

1296م تذكار للأمير ابي عامر ابراهيم بن ابي يحيى يغمراسن بن زيان ودلك ما تشير اليه الكتابة التدكرية المنقوشة على لوحة من المرمر الاخضر المثبتة في الجدار الغربي منه والمكتوبة بخط اندلسي انيق[7] وكررت بخط كوفي على حاشية فوق المحراب وقد سمي هدا المسجد باسم احد مشاهير علماء تنس وهدا ان دل يدل على اهتمام اهل تلمسان بالعلم والعلماء وتقديمهم على الامراء والسلاطين وهكذا يظهر ان سمعة العلماء أعظم من صمعة الامراء بفضل الدور الدي كان ياديه الفقهاء في دلك العصر في مجتمعات المغرب الاسلامي اد يعد هدا الجامع من اروع ما خلدته يد الانسان واية من آيات الفن الاسلامي يتميز بمساحته الصغيرة اد يحتوي على بيت الصلاة والمئذنة فقط ويفتقر الى الصحن فهو صغير الحجم بسيط التخطيط يحتوي على مصلى به تلاتة اروقة وتلاته بلاطات عمودية على جدار القبلة قائمة على اربعة صفوف من الاعمدة[8].

2.4مسجد اولاد الامام:

شيد هدا المسجد حوالي 710هـ-1311م بامر من السلطان ابو حمو موسى الاول ونسب الى الفقيهين ابو زيد عبد الرحمان وابو موسى عيسى ولدا الامام عبد الله التنسي ومخطط المسجد يتألف من قاعة الصلاة بها تلاتة بلاطات و تلاتة اروقة جعل المحراب كغيره في واجهة القبلة من الرواق الاوسط وكدا القبة ،هدا المحراب مزخرفة واعلاها قبة صغيرة مالفة من ستة عشر تخريمة وهي على شكل متمن وللمسجد مدخل واحد يقع في الجانب الشمالي للقاعة ووضعيته الحالية حديثة[9] اما المؤذنة فتقع خارج المسجد في الركن الشمالي الشرقي وهي دات قاعدة مربعة وتتكون من برجين.

3.4مسجد المشور:

بناه السلطان ابو حمو موسى الاول وجدد بنائه الاتراك تم حولته السلطات الفرنسية الى كنيسة ولم يبقى من اعماله الافنية ما عدى مئذنته التي لازالت تحتفظ ببعض زخرفتها خصوصا الواجهة الجنوبية منها[10] غير ان وقوع هدا المسجد داخل حصن المشور الدي يعبر عن بلاد امراء بني زيان جعل تعرضه الى غارات في الكثير من المرات مما ادى الى تهديمه واعادة بنائه كلما اقتضت الضرورة[11] وقد كان هدا سببا في اختفاء معالم عمارته الاولى ،فقاعة الصلاة اعيد بنائها في الفترة العثمانية وارضية المسجد تم رفعها على مستواها الاصلي.

5.4مدرسة اولاد الامام:

يعتبر السلطان لبو حمو موسى الاول مؤسس اول مدرسة في تاريخ بني زيان اشتهرت باسم مدرسة اولاد الامام سنة710هـ-1310م وقد انشاها تكريما للعالمين والفقيهين ابي زيد عبد الرحمان وابي موسى عيسى ابني الامام اما مخططها وهيكلها مع منزلي الفقيهين فقد اندثر جميع ولم يبقى لهما اتر عدى المصلى وحسب راي مارسي فقد كانت تتموقع غرب مسجد اولاد الامام وشماله وانها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين يتلقى فيها طلبة العلم دروسهم[12].

6.4 ضريح سيدي ابراهيم المصمودي:

انشئ هدا الضريح من طرف الامير ابي حمو موسى الثاني سنة763هـ-1361م تخليدا لذكرى والده ابي يعقوب كما دفن الى جانبه اثنين من افراد اسرته ، حكم تلمسان في فترة سابقة وهما الامير ابو تابت وابو السعيد عتمان الثاني حيت كانا مدفونين بالعباد قبل ان تنقلا رفاتهما الى الضريح و في سنة 804هـ-1401م توفى الشيخ الابراهيم المصمودي ودفن في هده المدرسة يقع هدا الضريح فوق تلة صغيرة على بعد بضعة امتار من غرب الجامع[13]، يتميز الضريح بشكله المستطيل

الدي يمتد من الشمال الى الجنوب ويشتمل على غرفة الضريح يتقدمها صحن ويولج اليه من باب يقع في الجدار الشمالي.

5.المعالم المرينية:

من اشهر المباني المرينية التي شيدها الحكام المرينيين مدينة المنصورة ،مجمع العباد، مسجد سيدي ابي الحلوي، سنتطرق الى المعالم الاتية:

1.5مسجد سيدي ابي مدين:

شيد هدا الجامع من قبل السلطان المريني ابي الحسن سنة739هـ-1339م حيت شهدت الدولة المرينية في فترة حكمه توسعات كبيرة منها دخول مدينة تلمسان حاضرة دولة بني زيان سنة737هـ-1336م حيت اهتم المرينيون بإنشاء العمائر الدينية بتلمسان منها هدا الجامع جامع العباد حيت الحقه بضريح الشيخ الصوفي سيدي ابي مدين شعيب بن الحسن الاندلسي وكدلك المدرسة المجاورة له، الجامع سيدي ابي مدين شيد من قبل السلطان المريني ابي الحسن ولكنه اخد اسم الشيخ ابي مدين الدي دفن بالقرب منه وما يجلب نظر الزائر عند وصوله الى جامع سيدي ابي مدين هو المدخل الانيق المزخرف وفوق دلك نجد النقش التأسيسي للجامع الدي جاء فيه الحمد لله وحده امر بتشييد هدا الجامع المبارك مولانا السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق ايده الله ونصره عام تسعة وتلاتون وسبعمئة نفعهم الله، ولازال هدا الجامع محتفظ بنظام تخطيطه الاول الى يومنا هدا.

2.5مسجد سيدي ابي الحلوي:

بني من طرف السلطان ابي عنان فارس ابن ابي الحسن[14] نسبه الى الرجل الصالح والعالم الصوفي ابي عبد الله الشودي الملقب با الحلوي وسمي

بالحلوي لانه كان يصنع الحلوى ويبيعها للصبيان وكانت وفاته بها عام 737هـ-1337م[15] كما ان طلرازه يشبه طراز مسجد سيدي ابي مدين ،بجامع سيدي الحلوي اربع واجهات اتنان منها مخفيتان بكتلة المنحدر الدي بني فيه موضع الجامع اما الواجهتين المتبقيتين تشرفان على طريقين عامين ويقوم مسجد سيدي الحلوي على شكل مستطيل يتكون من صحن مربع الشكل تحيط به بائكة من الجهات الاربعة تشرف عليه بتلاتة عقود كما توجد في الصحن عترة محفورة في الارضية على هيئة محراب مضلع.

كما يكشف الصحن يمينا ويصارا مجنبتان عبارة عن بلاطة او رواق يمتد كل منهما بطريقة عمودية ويتضمن هدا الجامع قاعة الصلاة مربعة الشكل متوسطة الحجم و المساحة وسقف قاعة الصلاة خشبي كماانه يشكل تلاتة اروقة مستطيلة توجدضشض منارة المسجد على يمين بابه الرئيسي وهي مربعة الشكل واما المحراب فهو مفتوح علة الجدران القبلي من الرواق الاوسط.

من خلال النماذج المدروسة يظهر الأثر الحضاري والفني الدي حمل خصائص معمارية وعناصر فنية تميز كل معلم عن الاخر اذ تعكس المنشاة التاريخية طرز فنية مختلفة منها الطراز المرابطي الدي تميز بافتقار العناصر الزخرفية واقتصارها على العناصر النباتية والكتابية التي تركزت بواجهة المحراب والقبة امام المحراب كما يظهر جليا التأثير الاندلسي بجامع قرطبة والقبة المضلعة دات الاضلاع المتقاطعة التي تتقدم المحراب ،كما نجد التأثير الموحدي المتمثل في شبكة المعينات الهندسية التي تزين جدران المئادن الزيانية والمرينية.

كما يبرز التأثير الفني المغربي الاندلسي الدي جمع الطراز الزياني والمريني والأندلسي الدي تميز بالزخرفة الجصية على الجدران وتراء الزخارف النباتية

والكتابية والهندسية وتنوعها اذ تشابهت العناصر الزخرفية في كل من معالم الزيانيين والمرينيين وبنو الأحمر بالاندلس وفقد شكلت وحدة فنية ء ضمن ما يسمى بالطراز المغربي الاندلسي الدي طغى على عمائر المغرب و الاندلس خلال القرنين التالت عشر والرابع عشر ميلادي ،اما عن الجانب الحضاري فنجد ان مدينة تلمسان تحولت الى قطب حضاري خلال مختلف مراحلها التاريخية جدبت اليها كبار المفكرين والعلماء ورجال الدين امتال أولاد الامام،سيدي ابي الحسن التنسي، الابلي، ابي عبد الله الشودي.....الخ كما نشطت التجارة بها واتقنت الحرف وتنوعت وحولت تلمسان الى سوق للبضائع المختلفة.

خاتمة

من خلال تراء مدينة تلمسان بالمعالم التاريخية بالاخص الدينية منها يتضح جليا مكانتها كمركز تقافي حضاري اجتذب العديد من الوافدين فإضافة عن موقعها الاستراتيجي وشغف حكامها ب تعمير مملكتهم وتشييد منشئات تمارس ادوار تعليمية تثقيفية دينية فقد اهتموا بتزيينها وتنميقها حتى تفردت العمارة بأنماط وطرز معمارية فنية زخرفية ندكر منها الطراز المرابطي وطراز الموحدي، الطراز الزياني والمريني ومجموعة من التأثيرات الفنية التي حملها الوافدون معهم اهمها الطراز الاندلسي الدي اندمج مع الطراز المغربي وشكل مدرسة فنية حملت الطراز المغربي الاندلسي ميزت عمائر المغرب وبلاخص العمائر في مدينة تلمسان لؤلؤة الجزائر.

المراجع:

1–سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين امير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية بيروت، 1985، ص50–51

2-بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من 7-10هـ/13-16م،ماجستير ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر 1987ا ،ص56.

3-سيدي محمد نقادي، نصر الدين براهامي، تلمسان الذاكرة، الجزائر، دار تالة 2010، ص14-15

4-ابن عدارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، قسم الموحدين تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر وزمامة، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان. ص169

5-سيدي محمد نقادي، المرجع السابق ص51

6-نص اللوحة بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وسلم تسليما، بنى هدا المسجد من طرق الامير ابو عامر ابراهيم بن السلطان ابي يخي يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله.

7-سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الاسلام، منشئة المعارف، الإسكندرية 1986 ص508.

8-حاج محمد رمضان شاوش ،باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان،ديوان المطبوعات الجامعية،1995ص237.

9-الحاج محمد بن رمضان شاوش ،المرجع السابق ص242.

10-عبد المالك موساوي ص فن الزخرفة في العمارة الاسلامية بتلمسان، المساجد والمدارس ط 1 ،2011، ص112

11-صالح بن قربة ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث،الجزائر2007،ص141

12-ويليام وجورج مارسي، المعالم الاترية العربية لمدينة تلمسان، تر مراد بلعيد، علي محمد بوروينة، فلة عبد المزيان، الاصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2011، ص431.

13-طرشاوي بلحاج المادن الزيانية والمرينية بتلمسان دراسة تاريخية وفنية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تخصص الفنون الشعبية 2002، ص13.

14-يحيى بوعزيز تلمسان، عاصمة المغرب الاوسط، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية واحياء التراث والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر1985 ص37.